146216 ـ الحكمة من خلق الملائكة ، والفرق بين هداية التوفيق وهداية الإرشاد

السؤال

ما الحكمة من خلق الملائكة ؟ هل خُلقوا لا لشيء سوى متعة الخلق أم للاختبار والتمحيص ؟. وهل عندما خلق الله إبليس كان يعرف نهايته ومستقبله في الأرض ؟ وهل لم يستطع الله خلق إبليس على الهدى الذي أراده له ؟.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

لا يتم إيمان المسلم حتى يثبت لربه تعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال ، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم كذلك ، ومما ثبت لله تعالى من الأسماء " الحكيم " ، ومما ثبت له من الصفات " الحكمة " ، فلم يخلق الله تعالى خلقاً إلا لحكمة ، ولم يشرع شرعاً إلا لحكمة ، وليس بالضرورة أن تصل عقول العباد إلى تلك الحكم دائما ، بل قد يبين الله تعالى لعباده بعض تلك الحكم ، وقد يستر عنهم بعضهم ، محنة لهم ، واختبارا لعبودئتهم وتسليمهم لربهم .

ثانياً:

قدر الله تعالى أن يخلق الملائكة ، ولا شهوة لهم إلى المعصية ، بل همتهم مصروفة بالكلية إلى طاعة رب العالمين ؛ فليس لهم في الدنيا اختبار ولا ابتلاء ، ولا عليهم في الآخرة حساب ولا جزاء .

قال ابن القيم – رحمه الله ـ :

فإن الله سبحانه خلق خلقَه أطواراً ، فخلق الملائكة عقولاً لا شهوات لها ولا طبيعة تتقاضى منها خلاف ما يراد من مادة نورية لا تقتضي شيئاً من الآثار والطبائع المذمومة ، وخلق الحيوانات ذوات شهوات لا عقول لها ، وخلق الثقلين الجن والإنس وركب فيهم العقول والشهوات والطبائع المختلفة لآثارمختلفة بحسب موادها وصورها وتركيبها ، وهؤلاء هم أهل الامتحان والابتلاء ، وهم المعرضون للثواب والعقاب ، ولو شاء سبحانه لجعل خلقه على طبيعة خلق واحد ولم يفاوت بينهم ، لكن ما فعله سبحانه هو محض الحكمة ، وموجب الربوبية ، ومقتضى الإلهية .

" طريق الهجرتين " (ص 203) .

ثالثاً:

الملائكة الكرام خلقٌ من خلق الله تعالى ، عبادٌ مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يُؤمرون ، يكلفهم ربهم تعالى

بما يشاء ، وإذا علمتَ تلك الوظائف والأعمال التي يقوم بها أولئك الخلق الكرام فهي الحكمة من خلقهم ، ومجمل هذه الأعمال والوظائف ثلاثة :

الأولى : عبادة الله تعالى ، وتمجيده ، وتعظيمه ، وتسبيحه .

قال تعالى : (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ) الأنبياء/ 20 ، وقال تعالى – على لسان الملائكة الكرام ـ : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ) الصافات/ 165 ، 166 .

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ) .

رواه الترمذي (2312) وابن ماجه (4190) ، وحسَّنه الألباني في " صحيح الترمذي " .

وانظر شرح الحديث في جواب السؤال رقم (131516) .

الثانية : القيام بأمر خلق الله تعالى وملكوته تعالى بإذن ربهم وتكليفه .

فمن الملائكة مكلفون بحمل العرش وعددهم ثمانية ، ومنهم مكلفون بتبليغ الوحي ، ومنهم خزنة الجنة ، ومنهم خزنة النار ، ومنهم ملائكة الأرزاق ، وهكذا في سلسلة أعمال جليلة كلفهم بها الرب سبحانه وتعالى .

الثالثة : القيام بأمر بني آدم بإذن ربهم وتكليفه .

فمن الملائكة من يحرس بني آدم ، ومنهم من يسجل أعمال بني آدم ، ومنهم مكلفون بقبض الأرواح ، ومنهم المكلف بسؤال الميت في قبره ، والمستغفر للمؤمنين ، وهكذا في سلسلة أعمال جليلة تتعلق بابن آدم .

وانظر جواب السؤال رقم (14610) ، ويمكن أن يراجع تفاصيل ما يتعلق بالملائكة في كتاب "عالم الملائكة الأبرار" للشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر ، حفظه الله ، وهو كتاب مهم جامع في بابه .

رابعاً:

وأما قولك " وهل عندما خلق الله إبليس كان يعرف نهايته ومستقبله في الأرض ؟ " ؛ فاعلم ـ أولاً ـ أنه لا يصح إسلام العبد إلا أن يؤمن أن الله تعالى يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ؟ وأن من تشكك في شيء من ذلك : فهو كافر بالله العظيم .

ألست تقرأ قول الله تعالى (عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) سبأ/ 3 ، وقوله تعالى (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) الطلاق/ 12 ، وقوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) المجادلة/ 7 ، وقوله (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) الحديد/ 3 ؟! فأين أنت عن هذه الآيات ومئات مثلها ، ومئات من الأحاديث ؟! .

خامساً:

أما قولك " وهل لم يستطع الله خلق إبليس على الهدى الذي أراده له ؟ " : فهذا أيضاً منك عجيب ، فإن كنتَ مسلماً فكيف آمنتَ برب عاجز ؟ وكيف آمنت ـ إذاً ـ بربٍّ خلق الملائكة عباداً طائعين فكان ما أراد الله تعالى منهم ؟ .

وقد ذكرنا لك في أول الجواب كيف اختلف خلق إبليس وآدم عن خلق الملائكة ؛ بل هذا ـ أيها السائل ـ مما يرشدك إلى تمام قدرة الله جل جلاله ، وعظيم ملكه ؛ فقد خلق من خلقه من لا يعصيه طرفة عين ، بل هو طائع له أبدا ، وهم الملائكة ، وخلق من لا يطيع أمره أبدا ،بل هو عاص له ، كافر به ، معاند لأمره ؛ وهم الشياطين ؛ وخلق من جمع بين الوصفين : الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، وهم بنو آدم . والكل خلق الله ، لو شاء لجعلهم على ملة واحدة ، وخلقة واحدة ، ودين واحد ، لكن حكمته وقدرته اقتضت ذلك ، وهو المحمود على كل فعله ، وكل قوله ، وكل خلقه سبحانه : (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) الأنبياء/23 .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" وَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ ، وَلَهُ فِيمَا خَلَقَهُ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ، وَنِعْمَةٌ سَابِغَةٌ ، وَرَحْمَةٌ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ ؛ وَهُوَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، لَا لِمُجَرَّدِ قُدْرَتِهِ وَقَهْرِهِ ؛ بَلْ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَرَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ " انتهى من "مجموع الفتاوى" (8/79) .

سادساً:

اعلم أن كل من ضلَّ عن سواء السبيل فقد جاءه الهدى ، لكنه هو الذي أباه واستكبر عن اتباعه ، فهداية الدلالة والإرشاد قد وصلتهم ، وأقام بها الله تعالى الحجة عليهم ، لكنهم أبوا الانقياد لها واتباعها ، فحصل منهم الضلال ، فعمت هدايته وبيانه للخلق ، وقامت عليهم حجيته سبحانه ، كما قال سبحانه : (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) الأنعام/149 .

قال ابن القيم رحمه الله :

" فأخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه ، وبيان ما ينفعهم ويضرهم ، وتمكنهم من الإيمان بمعرفة أوامره ونواهيه ، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول ، فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك ، واضمحلت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه ، ثم قرر تمام الحجة بقوله : (فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) ؛ فإن هذا يتضمن أنه المتفرد بالربوبية والملك والتصرف في خلقه ، وأنه لا رب غيره ، ولا إله سواه ؛ فكيف يعبدون معه إلها غيره ؟! فإثبات القدر والمشيئة من تمام حجته البالغة عليهم ، وأن الأمر كله لله ، وأن كل شيء ما خلا الله باطل ؛ فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد ، فجعلها الظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك ، فكانت حجة الله هي البالغة ، وحجتهم هي الداحضة وبالله التوفيق " انتهى .

"شفاء العليل" (35) .

ونوصيك أيها السائل بطلب العلم الشرعي ، ومعرفة ما ينفعك في دينك وقربك من ربك عزَّ وجل ، وابذل وقتك في حفظ القرآن وأكثر من النظر في أحاديث نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، واطلع على تراجم سلف هذه الأمة وعلمائها ، وسترى – بإذن الله – خيراً كثيراً ، فساعات العمر أنفس من أن نضيعها فيما لا نفع فيه ، والعمر محدود أن نفرط فيه فيما قد يضرنا يوم نلقى ربنا تعالى .

وأعظم ما نوصيك أن تكثر مع ذلك كله من ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار ، وأن تجتهد في طاعته ، فإن الشيطان وسواس خناس ، إذا ذكرت الله خنس ، وضعف عنك ، وإذا غفلت عن ذكره برز إليك ، وشغلك بالوساوس والخطرات .
والله أعلم .